أشكال التناص القرآني في الشعر الجزائري القديم
شعر الثغري التلمساني نموذجا

أ. عبد العزيز قيبوج
جامعة الحاج لخضر- باتنة- الجزائر

ملخص:

حظي القرآن الكريم – منذ دخول الفاتحين البلاد الجزائرية – بعناية خاصة من طرف السكان المحليين، وأقبلوا عليه حفظا ودراسة وتعليما، وكان له تأثير واسع في شتى مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية، عبر كل العصور، والثغري التلمساني من الشعراء الذين تشربوا النص القرآني وارتكزوا على ألفاظه ومعانيه وصوره في سبيل تشكيل صرحه الشعري، لذلك نسعى في هذا البحث إلى مقاربة شعره وفق النظرية التناصية، من خلال الكشف عن الأشكال التناصيه، التي تمظهر بها شعره، وبيان الآليات التي اعتمدها في خلق التفاعل بين النص القرآني(الغائب)، والنص الشعري (الحاضر)، وما ينتج عن هذا التفاعل من قيم فكرية وجمالية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم؛ شعر الثغري التلمساني؛ الأشكال التناصية

The formes of the intertexte Quauranique in the old Algerien poem .
Poetry Athghri Telemçani model

Abestract **:**

Algerians peoples care the Qur'an since entering Islame. The Qur'an had significant impact on the sociale and cultural for all time life. Athgri poets who have been influenced by the words Quauranique in style and its meaning.and this article aims to search the absent texts Quauranique

المنارة للاستشارات
www.mar

that forms Athgri poem 's. So the intertexte formations which employs and appoint it Its effect also in the formation of his poem esthetical and intellectually

Key words: Qur'an; Athghri Telemçani; intertextual forme

توطئة:

القرآن الكريم معجز بجميع جوانبه، فهو "معجز في حروفه وكلماته وتراكيبه، معجز في تأليفه والتئامه وتناسقه، معجز في سلامته من التعارض، معجز في أسلوبه ونظمه وفواصله، معجز بأنبائه الغيبية عن تزامن الزمن، معجز في أسراره الدقيقة وقوانينه المحكمة، وطرق إقناعه الفذّة، معجز في إشاراته واستعاراته، معجز بجاذبيته للمشاعر والأحاسيس"[1] .

ولما دخل الإسلام بلاد المغرب، أقبل السكان على الدين الجديد، واحتفوا بالقرآن أكبر ما يكون الاحتفاء، وأصبح همهم حفظه وتلاوته وتدارسه، فسرى في نفوسهم وتغلغل في قلوبهم، فقويت مادتهم اللغوية، ونمت ثرواتهم الفكرية واستقامت ملكتهم البيانية، وكان لفصاحة ألفاظه وجمال أسلوبه وقوة بيانه الأثر البالغ على الشعراء الذين اغترفوا من معينه الذي لا ينضب، فغدا "مصدر إلهام للذات الشاعرة، تتفيأ ظلال لغته وتتأمل في حضره الكلام الإلهي، وتنهل من ينابيعه المختلفة، وتتزود ما شاء الله لها من إعجازه وتنوع أساليبه، واختلاف إشاراته، ووفرة مخاطباته، وتستمد الذات المبدعة شاعريتها البشرية من شاعرية النص القرآني"[2]

فالقرآن الكريم بألفاظه المتألقة ومعانيه الخالدة، وقصصه الموحية يعد أكثر المصادر توظيفا وأوسعها تأثيرا في الشعر العربي، ولعل هذا التأثير والثراء والتجدّد الذي يميز القرآن الكريم هو السبب في الإقبال عليه وتوظيفه من قبل الشعراء في مختلف العصور .

عاش "الثغري التلمساني"[3]، في هذه البيئة المفعمة بالثقافة العربية الإسلامية، التي كان لها الأثر البالغ في صقل موهبته الأدبية، وتشكيل تجربته الشعرية، لذلك نجد حضورا بارزا للألفاظ والتراكيب القرآنية والمعاني القرآنية في شعره.

المنارة للاستشارات
www.mar

1-التناص[4] الاجتراري/الإقتباسي:

فالاجترار هو تكرار النص الغائب دون تغيير أو تحور ويكثر الاجترار في مراحل الضعف الأدبي، ومثاله "تعامل الشعراء في عصور الانحطاط مع النص الغائب بوعي سكوني ... وبذلك ساد تجيد بعض المظاهر الشكلية الخارجية، في انفصالها عن البنية العامة للنص كحركة وسيرورة، وكانت النتيجة أن أصبح النص الغائب نموذجا جامدا تضمحل حيويته مع كل إعادة كتابة له"(5)، وإذا كان الإجترار يتم بتكرار النص الغائب دون تغيير، فإن العملية التناصية فيه تتم على مستوي البنية اللفظية والتركيبية للنص.

وللألفاظ أهمية بالغة، فهي اللّبنة الأساسية التي يشكل بها الشاعر صرحه الشعري، وكلما اعتنى الشاعر بانتقاء الألفاظ الفصيحة الجزلة الموحية، كان ذلك مدعاة لجودة شعره وحسن تأليفه، "فلما كانت الألفاظ للمعاني أزمة وعليها أدلّة، وإليها موصلة وعلى المراد منها محصلة، عنيت العرب بها، فأولتها صدرا صالحا من تثقيفها وإصلاحها"(6)، وتأتي ألفاظ القرآن الكريم في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة والبيان لأنها: "لبُّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكمهم، وإليها مفزع حُذّاق الشعراء والبلغاء في نظرهم ونثرهم"(7)، ولذلك عمد "الثغري التلمساني إلى النص القرآني فاستقى منه الكثير من مفرداته ، وأكثر الألفاظ القرآنية حضورا في ديوانه هي: أسماء الله الحسنى، وأسماء الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأسماء القرآن الكريم، وألفاظ التقوى والإيمان، وقد وردت هذه الألفاظ إما مفردة، أي جاءت منعزلة في سياقها التركيبي في النّص القرآني، أو جاءت مركبة التركيب ذاته الموجود في النّص الأصلي (القرآن الكريم).

ا-**المستوى الإفرادي:** ونقصد به "ما يتصل بقدرة المبدع على اختيار ألفاظ بعينها، لا بحسب قيم صوتية وإنما بحسب ما فيها من قيم دلالية، يمكن أن تمتد عند التركيب إلى غيرها من دلالات أخرى لتصنع الإطار الدلالي المركب"(8).

-**أسماء الله الحسنى:** "الأسماء الحسنى هي أسماء الله تعالى التي ارتضاها لنفسه في كتابه أو سنة نبيه، ولذلك ترى أن القرآن الكريم وصفها بالحسنى(9)، كقوله تعالى: "**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ**

المنارة للاستشارات
www.man

بِهَا" (الأعراف 180)، ومن أسماء الله الحسنى التي استدعاها "الثغري" في ديوانه بشكل كبير لفظ الجلالة "الله"، من ذلك قوله في مدح السلطان الزياني موسى الثاني[10]:

إمامٌ تولَّى اللهُ تشييدَ فخرِهِ   فما شئتَ من مجدٍ ومن كرمٍ عدِّ

همامٌ حباهُ الله عزَّةَ نصره   فلَّله من نصرٍ عزيزٍ ومن عضْدِ

فالثغري وصف ممدوحه بالصفات المعروفة في شعر المديح العربي من (فخر، ومجد، وكرم، وعزة ونصر)، ولكنّه أضفى عليها طابعا دينيا مستندا إلى قوله تعالى: "وَمَا النصر إِلاَّ **مِنْ عِندِ** الله" (آل عمران *126*)، وقوله: "**بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**" (الروم 05)، وقوله: "**وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا**" (الفتح 3)، ولا شك أن حضور النصوص القرآنية في شعر المديح يكسبه تسويغا وعمقا، وقبولا أكبر لدى المتلقي، ويوظف "الثغري" أسماء الله الحسنى في غرض الرثاء، من ذلك قوله في رثاء الأمير أبي يعقوب، والد أبي حمو موسى الثاني[11]:

ومضى لرحمةِ ربّه مستبشرا   بثوابِهِ والله خيرُ مثيب

يحيلنا الشاعر على قوله تعالى: "**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ**" (التوبة 31).

من خلال مقارنة النص الحاضر (البيتين) والنص القرآني (الآيتين) نلاحظ مدى الانسجام الذي حققه الشاعر من خلال قدرته على توظيف التناص القرآني، وخلق تفاعل بين النصين أسهم في إنتاج دلالة جديدة تناسب سياق النصين الشعري والديني، فالشاعر في مقام التعزية التي تستوجب التخفيف من أثر المصيبة وإظهار الصبر والتصبّر، فوجد في النصوص القرآنية ما يحقق ذلك.

ومن الأسماء الحسنى أيضا اسم الله "البارئ"، يقول الثغري[12]:

جلَّ باريه ملجأً للبرايـا   فالحيا ضامنًا حياةَ البلادِ

جلَّ من خصّهُ بتلك المزايا   باهرات من طارفٍ وتـلادِ

المنارة للاستشارات
www.man

في سياق مدح "الثغري" للسلطان "موسى الثاني"، بدأ شعره بتعظيم وإجلال المولى عزّ وجلّ، ذاكرا اسمه "البارئ" الذي يعني المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود، الذي أوجد الخلق لا من شيء سابق[13]، يقول عزّ وجلّ: " **هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ**" (الحشر 24)، فالنص الديني جاء داعما للنص الشعري، فمزايا الممدوح وفضائله هي من فضل الله عزّ وجلّ، خلقها وبرأها كما خلق كل شيء من العدم، فقد أضفى النص القرآني طابعا من القداسة على النص الشعري، وبذلك تضافر النص القرآني مع النص الشعري لإنتاج الدلالة.

- أسماء النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وصفاته.

إن الله تعالى قد سمّى نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، بأسماء كثيرة في القرآن الكريم، وكثرة الأسماء تدلُّ على شرف المسمّى لاسيما أنها أوصاف مدح[14]، وقد اعتمد شاعرنا على تلك الأسماء في إنتاج نصوصه الشعرية، مستفيدا من قوة دلالتها في النص القرآني، من ذلك قوله[15]:

نبيٌ تسمّي أحمدا ومحمدا وأطنبَ فيه الوحيُ بالمدح والحمدِ

نبيٌّ جميعُ الرسْلِ تحتَ لوائهِ وقد خُصَّ فضلا دونهم بلوا الحمدِ

وقوله[16]:

هو أحمد ومحمد والمجتبى والمصطفى والمدح لا يتناهى

تحيلنا الأبيات الشعرية السابقة على الكثير من الآيات القرآنية التي جاءت في ذكر الرسول الكريم ومدحه، وبيان مقامه عند ربّه ومنزلته بين العباد، منها قوله تعالى: " **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**" (الصف 06)، وقوله تعالى: " **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**" (آل عمران 144)، فالاسمان "محمد وأحمد" خصّ بهما الله عزّ وجلّ نبيه محمد، "وهما اسمان خصوصيان بالطالع الأسعد، منع الله تعالى أن يسمى بهما قبل زمانه أحد من الناس، لئلا يدخل على القلوب الضعيفة شك والتباس، وهو أحمد الحامدين والمحمودين، وأكثر الناس حمدا وهو حامل لواء الحمد"[17].

المنارة للاستشارات
www.man

فالشاعر وظف اسمي النبي (صلى الله عليه وسلم) أحمد ومحمد، محافظا على بعدهما الدلالي الوارد في النص القرآني الذي يتمحور حول دلالات التكريم والتبجيل والمدح.

كما نجد في شعر "الثغري" توظيف اسم "النبي" عند حديثه عن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)، مثل قوله(18):

نبيٌّ أتاهُ الوحيُ من عندِ ربّهِ　　　فبالغَ في تبليغه للورى طرّا

وقوله(19):

نبيٌّ رآه الله أفضلَ خلقهِ　　فأرسله بالحقّ للخلقِ هاديا

ولفظة (نبيّ) كثيرا ما خاطب بها الله عزّ وجلّ نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، مثل قوله: "**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**" (الأحزاب 45)، وقوله: "**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**"، فالثغري استلهم معانيه في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) من النص القرآني وصاغها في قالب شعري محافظا سلطة النص القرآني، مستفيدا من ثراء دلالته وقوة ألفاظه في تحقيق التأثير في الملتقى.

وكثيرا ما يردد الشاعر لفظة "رسول" في حديثه عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، من ذلك قوله(20):

فيا مرسلاً بالحقِّ للخلقِ رحمةً　　　ومشكي شكواهم إذا وردوا الحشرا

وقوله(21):

يا خاتمَ الرُّسلِ الكرامِ وخيرَ من　　　يبدأ به الذِّكرُ الحكيم ويُختم

وقوله(22):

وكمْ لرسولِ اللهِ من آيةٍ سمتْ　　　عن الألفِ والقرآنُ آيته الكُبرى

فهذا الاسم "الرسول" خاطب به الله عزّ وجل نبيه محمد، في أكثر من موضع مثل قوله تعالى: "**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**" (النساء 64)، وقوله: "**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن**

المنارة للاستشارات
www.man

رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" (الأحزاب 64)، وقوله: "**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**" (التكوير 19)، وقد تناسبت الآيات القرآنية مع السياق الشعري، وجاءت رؤية الشاعر متوائمة مع النص القرآني منسجمة مع دلالاته، فالثغري يرى في النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) أنه رسول من الله، جاء بالدين الحق للناس أجمعين لهدايتهم إلى الطريق المستقيم، وأنه مؤيد بالقرآن الكريم الذي هو آيته الكبرى، وهي المعاني نفسها التي وردت في الآيات السابقة، فتناص الثغري مع النص القرآني ساهم في تعضيد المعنى وتقوية الدلالة، وتحقيق القبول والتأثير لدى المتلقي.

كما استغل الشاعر ألفاظا أخرى للدلالة على صفات وصف بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثل لفظتي (بشير- نذير)، بقوله[23]:

بشيرٌ نذيرٌ بين كتفيهِ خَاتمٌ به خَتمَ اللهُ الرسائلَ والنُّذرا

فالبيت الشعري يتناص مع قوله تعالى: "**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**" (الفتح 08)، وقوله: "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**" (سبأ 28)، وقوله: "**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**" (فاطر 24)، فشاعرنا ينهل من ذخيرة خطابية قرآنية ثرية، من شأنها أن تحقق له الاستجابة والقبول لدى المتلقي لأنه يستهدف الذاكرة الدينية التي تشكل الموروث العام والشخصي للقارئ.

ج- أسماء القرآن الكريم:

كثيرا ما يستدعي "الثغري" الألفاظ الدّالة على أسماء القرآن الكريم، لتوظيفها في سياقاته الشعرية، وللقرآن أسماء كثيرة منها: القرآن، الكتاب، الذكر، الروح، النور، الفرقان، البرهان، الموعظة، الشفاء، وهي تعبر عن أسماء وأوصاف القرآن الكريم، وعن الآثار المترتبة عن العمل بآيات القرآن الكريم، والحياة الناتجة عن كل ذلك، والثغري عندما يستحضر هذه الأسماء والأوصاف فهو ينطلق من رؤية ذاتية، وتجربة شخصية سببها التفاعل النفسي مع آيات القرآن الكريم، الناتج عن طبيعة تكوينه الثقافي الذي غلب عليه الطابع الديني السائد في عصره، لذلك يكثر

المنارة للاستشارات
www.man

الثغري من توظيف أسماء وألفاظ القرآن الكريم، ومن بين الأسماء الواردة في الديوان لفظة "القرآن"، يقول "الثغري"[24]:

وأعظمُها القرآنُ يهدى لنَا الهُدى فيا حسنَ ما يهدي ويا فوزَ ما يُهدَى

تناص الشاعر في هذا البيت مع قوله تعالى: **"إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا"** (الإسراء 09)، فأخذ الشاعر في الشطر الأول عبارة القرآن الكريم (القرآن يهدي)، وفي الشطر الثاني غيّر اللفظ وحافظ على المعنى المرتبط بالنتائج المترتبة عن العمل بالقرآن الكريم وهي الأجر العظيم والجزاء الحسن، عبّر عنها الشاعر بصيغة التعجب السّماعي "يا حسن ما يهدي ويا فوز من يُهدى !"، وبذلك تظافر النص القرآني مع النص الشعري لتحقيق المعنى وإنتاج الدلالة.

كما يستعمل الثغري لفظ "الكتاب" عند حديثه عن القرآن الكريم، كقوله[25]:

ماذَا عسَى يُثني عليه مقَصِّر وبمدحه نزلَ الكتابُ المحكَمُ

فالشاعر يعبّر عن عجزه عن استيفاء مدح النبي (صلى الله عليه وسلم)، فكيف يمكن مدح من مدحه المولى عزّ وجلّ في كتابه الكريم، وقد استقى الشاعر هذا المعنى من آيات كثيرة تتحدث عن فضل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في تبليغ رسالة ربه وهداية الناس إلى الطريق المستقيم والمنهج القويم كقوله تعالى: **"كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ"** (البقرة 151).

ومن أسماء القرآن الكريم التي ذكرها شاعرنا "النور، البرهان، والحجة"، يقول[26]:

هو النّورُ والبرهانُ والحجّةُ التي بها حُلَلُ الدّين الحنيف ترمّمُ

تزاحمت في هذا البيت مفردات قرآنية كثيرة، شكلت البنية السطحية للبيت الشعري، فألفاظ (النّور، البرهان، الحجة، الدين الحنيف) تحيل المتلقي على نصوص قرآنية كثيرة، فهي بمثابة معالم ظاهرة تكتنز مضامين قرآنية متعددة، حيث اعتمد شاعرنا آلية الإيجاز والتكثيف، تاركا للقارئ مهمة محاورة النص الشعري وقراءة التعالقات النصية الواردة فيه، ويمكننا قراءة البيت تناصيا بالشكل التالي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **النور:** الكثير من الآيات الكريمة تصف القرآن بالنور وهو نور معنوي، نور القلوب والبصائر، نور الحق والهداية، يقول تعالى: "**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**" إبراهيم 01، وقوله: "**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ**" (المائدة 15)، وقوله: "**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**" (التغابن 08)، فالقرآن نور يشرق في قلب المؤمن فيزهر إيمانا وسعادة وخيرا.

- **البرهان:** القرآن برهان ودليل من المولى عزّ وجلّ لعباده على كل ما يتعلق بحياة الإنسان وعقيدته، يقول الله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا**" (النساء 174).

- **الحجة:** وهو حجة أقامها الله على عباده من خلال الرسل والكتب، يقول تعالى: "**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**" (الأنعام 149).

- **الدين الحنيف:** الحنيف اصطلاحا هو المسلم الذي يتحنف عن الأديان حتى يميل عنها إلى الدين الحق، وقيل هو الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على دين إبراهيم، وقيل كل من أسلم لأمر الله ولم يلتوِ فهو حنيف، وقد تكرر ورود كلمة حنيف في القرآن الكريم للدلالة على أهل الدين الحق الصحيح، وقد وصف به إبراهيم عليه السلام في أكثر من موضع[27]، يقول عزّ وجلّ: "**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" (النحل 123)، وقوله: "**وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" (يونس 105).

فالتناص في هذا البيت تمّ باستدعاء الشاعر نصوص قرآنية عن طريق الإشارة المركزة، بحيث تغدو هذه الإشارة بمثابة الاستحضار الكامل لتلك النصوص، وغالبا ما يعتمد هذا النوع من التناص على لفظة واحدة أو اثنتين، كما يتميز هذا النوع من التناص بقدرة كبيرة على التكثيف والإيجاز، مع الدقة في التعبير، حيث تثير المفردة المستحضرة وجدان المتلقي ومشاعره، وتنقله إلى أجواء النص المستحضر بسرعة فائقة وبأقل قدر ممكن من الكلمات[28].

المنارة للاستشارات
www.man

ب- المستوى التركيبي:

يقوم فيه الشاعر باستدعاء واستحضار النص القرآني وإدراجه في نصه الشعري بشكل كامل، محافظا على سياقه وبنيته التركيبية، أو يقوم بتغيير بسيط في تركيبه، ويكثر هذا النوع من التناص في شعر الثغري بسب" نظرة التقديس والاحترام لبعض النصوص والمرجعيات لاسيما الدينية والأسطورية ..."(29)، ويظهر التناص التركيبي في شعره بأشكال متنوعة منها:

ا-التراكيب الجاهزة:

ونقصد بها استحضار الشاعر لتركيب قرآنية وتوظيفها في شعره بشكل مباشر، دون أن يدخل عليها تحويل أو تغيير في بنيتها التركيبية، من تقديم أو تأخير أو حذف أو إضافة، أو غير ذلك.

يقول الثغري في حديثه عن الإسراء والمعراج(30):

دنا فتدلَّى قابَ قوسينِ وقفةً ... وليسَ دنوًا بالمسافةِ فاعلموا

يتحدث "الثغري" عن معجزة الإسراء والمعراج، فاستحضر الآية الكريمة: " **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ**"(النجم 08-09)، وحافظ على التعبير القرآني دون تغيير معتمدا على اجترار النص الديني مستحضرا التركيب يشكل مباشر، لأن سياق النصين الديني والشعري هو ذاته، يتعلق بسرد حاثة الإسراء والمعراج .

وبالشكل ذاته يتحدث الشاعر عن تمسكه بالإسلام واتباعه للسنة النبوية في قوله(31):

إنّي بجاهك واثقٌ متمسكٌ ... بالعروةِ الوثقى التي لا تفصمُ

فالشاعر واثق في اتّباعه لسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) متمسك بتعاليم الإسلام، ولترسيخ الدلالة اتكأ على النص القرآني في قوله تعالى: "**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**" (البقرة 256)، فالآية الكريمة تشير إلى التمسّك من الدين بأقوى سبب، وشبه ذلك بالعروة الوثقى القوية

المنارة للاستشارات
www.man

التي لا تنفصم فربطها شديد، وقال "مجاهد" العروة الوثقى الإيمان، وقال الضحاك هي: "لا إله إلا الله"[32]، ونلاحظ أن النصين الشعري والقرآني قد تلاحما وانسجما في إنتاج الدلالة وتعقيمها.

إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو خاتم الأنبياء وأفضل المرسلين، له المقام المحمود والمنزلة الرفيعة عند الله عزّ وجلّ، اجتباه ربه وفضله على العالمين، وكثيرا ما تناول شعراء المديح النبوي هذا المعنى مستلهمين ذلك من النصوص الدينية التي تحدث عن فضل المولى عز وجل على نبيه الكريم، وفي هذا السياق يقول الثغري[33]:

فأتـمَّ نـعمتَهُ عليه ربّهُ | في كـلِّ أمرٍ أفضلَ الإتمامِ
وحباهُ فضلاً من لدنهُ ورحمةً | بمواهبَ لم تجرِ في الأوهامِ

فالشطر الأول من البيت الأول مأخوذ من قوله تعالى : " **وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**" (يوسف 6).

استحضر الشاعر قصة سيدنا يوسف عليه السلام، والمعاناة التي عايشها من كيد إخوته له، الذين رموه في الجب، ثم بيعه في سوق العبيد لعزيز مصر، وكيد امرأة العزيز له ودخوله السجن، ليأتي في الأخير نصر الله تعالى وفضله، حيث أُخرج من السجن وتبوأ أعلى المراتب في مصر، يقول الحق تعالى: "**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**" (يوسف 56).

وهذه القصة تذكرنا بمسيرة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي عانى كثيرا من كيد كفار قريش، وكابد الأهوال في سبيل نشر رسالة ربه، ليتمكن في آخر المطاف من ردّ كيد الظالمين وتبليغ الرسالة ونشر الدعوة، فهناك تشابه بين قصة يوسف عليه السلام وقصة سيدنا محمد (صلى الله عليه ولسم)، بل هي مشيئة الله في جميع الأنبياء والمرسلين لقوله تعالى: " **حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**" (يوسف 110).

المنارة للاستشارات
www.man

أما البيت الثاني فاستمده الشاعر من قوله تعالى: "**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**" (الكهف 10).

فالشاعر استدعى دعاء أهل الكهف "ربنا آتنا من لدنك رحمة"، وحوله إلى صيغة إخبارية "وحباه فضلا من لدنه ورحمة" لينسجم مع سياقه الشعري القائم على مدح النبي وسرد خصاله وفضائل المولى عز وجل عليه.

ويقول في مدح أبي زيّان محمد بن أبي حمو الثاني[34]:

وإنّ أبـا زيـّان زيــنٌ لذاتهِ   زكا منه نجلٌ حينَ طابَ له نجر

وقدْ حذقَ الـقرآنَ حذقَ مجـــودٍ   فأشرقَ منه القلبُ وانشرحَ الصدرُ

ويتلو كـتابَ اللهِ واللهُ حافــظٌ   لتالي كتابَ اللهِ ما حـفظَ الذِّكـرَ

يمدح "الثغري" نجل السلطان بمناسبة حفظه للقرآن، ويبين فضائل قراءة القرآن الكريم وأثر ذلك على النفس، فالقرآن الكريم نور تشرق به القلوب وتطمئن به النفوس، وتهتدي به العقول، فاستعار الشاعر بعض صور الهدي القرآني لتشكيل صورته الشعرية وتعميق دلالتها، ففي عبارة "أشرق منه القلب" وعبارة "انشرح الصدر" امتداد في العديد من النصوص القرآنية نذكر منها قوله تعالى: "**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ** " (الأنعام 135)، وقوله: "**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**" (الزمر 22)، **وقد سئل الرسول (صلى الله عليه وسلم) كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: "نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح"**[35].

أما البيت الثاني فبناه الشاعر اعتمادا على آيتين كريمتين، وظف الأولى في الشطر الأول في عبارة "يتلو كتاب الله"، وذلك في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ" (فاطر 29)، والعبارة الثانية (الله حافظ لتالي الكتاب ما حفظ الذكر) استعارها الشاعر مم قوله تعالى: "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**" **(الحجر 09)، فرغم اختلاف السياق بين الآية الكريمة والقول الشعري، حيث تشير الآية إلى حفظ الله عز وجل للقرآن الكريم من التحريف والضياع، فيما يشير قول الشاعر إلى حفظ الله تعالى لحافظ**

المنارة للاستشارات
www.man

كتاب الله، رغم هذا الاختلاف فإن الشاعر استطاع المواءمة بين النص القرآني والشعري في سياق جديد وبنية منسجمة في تركيبها محكمة في بنائها.

وفي سياق المديح النبوي يقول الثغري مادحا المصطفى (صلى الله عليه وسلم)(36):

يتنـزّل الـرُّوحُ الأمينُ به على ... خيرِ الورى صلُّوا عليه وسلِّموا

هو رحمةُ الله التي يهمى بها ... في الخلقِ بالحقّ المبين ويحكمُ

يتناص البيتان مع بعض النصوص القرآنية على مستوى الألفاظ والمعاني والبنية التركيبية، فالتراكيب التي استعملها الشاعر في البيتين (يتنزل الروح الأمين، صلوا عليه ولسموا، هو رحمة الله، الحق المبين)، هي تراكيب قرآنية، فالعبارة الأولى مقتبسة من قوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**" (الأحزاب 53).

وعبارة "هو رحمة الله" مستمدة من الآية الكريمة: "**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** " (آل عمران 195). وعبارة "الحق المبين" مستعارة من قول الله تعالى: "**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**" (النمل 79).

فالشاعر اجترّ النص القرآني وكرّس حضوره بشكل مباشر، مستدعيا ألفاظه وتراكيبه، ونظر إليه نظرة تقديس، فوظفه دون تغيير يذكر على مستوى دلالة الألفاظ وطريقة نظمها وترتيبها، ويمكن أن نعزو ذلك الخلفية الثقافية واللغوية للشاعر، التي تغلب عليها الثقافة الدينية لذلك غالبا ما تطفو على سطح عمله الشعري الألفاظ والتراكيب القرآنية سواء أكان ذلك عن قصد أو غير قصد منه.

ويذكر الشاعر الأماكن المقدسة لما لها من خصوصية في قلوب المسلمين لارتباطها بحياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وببعض الشعائر الإسلامية كالحج والعمرة والصلاة، ومن هذه الأماكن بيت الله الحرام، وفي ذلك يقول(37):

طافَ الأنامُ بكعبةِ اللهِ التي ... لم يجعلِ البيتَ الحرامَ سواهَا

واختارها لنبيّه في قولِهِ ... لنولينّك قبلةً ترضاهـا

المنارة للاستشارات
www.man

طافوا بها سبعًا ومهما قابلوا   ركنَ اليماني قبَّوا يمناها

ولدى صَلاتِهم إليها وجهوا   حيثُ داروا أوجهًا وجباهَـا

في صورة مفعمة بالحركة والحيوية والنشاط، يكشف فيها الشاعر عن تعلق المسلمين في كل مكان بالكعبة الشريفة بيت الله الحرام، يحركهم في ذلك دافع الحب والإيمان والارتباط بهذا المعلم الديني، فعبارات: "طاف الأنام، طافوا بها سبعا، قبلوا يمناها، واجهوا أوجها وجباها" توحي بالطقوس الدينية التي يمارسها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يوميا في أوقات الصلاة، تجاه البيت الحرام، وفي مواسم الحج والعمرة، ورسَّخ الشاعر هذه المعاني والصور من خلال الاستفادة من النصوص القرآنية التي تشير إلى هذه البقاع المقدسة، ففي البيت الأول تناص الشاعر مع قوله تعالى: "**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**" (آل عمران 96)، وقوله: "**جَعَلَ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ**" (المائدة 97)، والبيت الثاني استعان فيه الشاعر من قوله تعالى: "**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**" (البقرة 144)، أما البيتين الثالث والرابع استلهما من قول الله عز وجل : "**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبراهيم مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ للطائفين والقائمين وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**" (الحج 26)، وهو هنا لم يقم باقتباس أجزاء من الآية الكريمة، وإنما تشرّب وامتصّ مضمونها، وأعاد صوغها بأسلوبه الخاص مكتفيا باقتباس بعض الألفاظ القرآنية الدالة عليها.

ب-التراكيب المحولة:

وهو أن الشاعر يأخذ بعض اللفظ من الآية القرآنية ويخضعها لترتيب خاص بتقديم أو تأخير أو زيادة أو نقصان، بما يتناسب وتجربته الشعرية، من ذلك قوله(38):

ففي سِعَةِ الألطافِ ما يفرجُ الأسى   وفي كنفِ اليُسرين ما يذهب العسرَا

وفي رحمةِ المولى إغاثةُ عبدهِ   ولاسيما أنْ يدعُـهُ العبدُ مضطرًّا

في قوله: "في كنف اليسرين ما يذهب العسر"، استلهام لقوله تعالى: " **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**" (الشرح 5، 6)، وجاء في تفسير هذه الآية: "أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر، ثم أكد هذا الخبر بقوله: "**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**"، قال الحسن: كانوا يقولون لا يغلب عسر

المنارة للاستشارات
www.man

واحد يسرين اثنين، وعن قتادة ذكر لنا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بشّر أصحابه بهذه الآية فقال: "لن يغلب عسر يسرين"، ومعنى هذا أن العسر معروف في الحالين، فهو مفرد، واليسر منكر فتعدد، ولهذا قال: "لن يغلب عسر يسرين"، يعني قوله: "فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا" فالعسر الأول عين الثاني، واليسر تعدّد"[39]، ويظهر أن الشاعر قد أدرك هذا التأويل واطلع على هذه الفكرة واستطاع أن يصوغ هذا المعنى في عبارة موجزة اللفظ رشيقة المعنى في قوله " في كنف اليسرين ما يذهب العسر".

أما البيت الثاني فأخذ الشاعر بعض لفظه من الآية الكريمة: "**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ**" (النمل 62)، وهذه الآية تبين أن المدعو عند الشدائد والمرجو عند النوازل، هو الله عز وجل، وقد تعامل الشاعر مع الآية القرآنية عن طريق آلية الاستدعاء والتحويل، حيث استحضر الآية وتحول عن تركيبها إلى تركيب آخر مع حفاظه على دلالتها ومعناها.

وفي حديثه عن فضل النبي على البشرية وتخليصها من ظلام الجاهلية وهدايتها إلى نور الحق والرشد والنجاح، يقول في تخميس له[40]:

صبحُ الإرشادِ به انصدعا وبأمرِ اللهِ لقد صدعَا

والخلق لنجح الحقّ دعا وأزالَ بسنَّته البِدعا

فبسنَّة الخلقُ قد اعتصموا

يحمل لفظ "الصبح" بالإضافة إلى دلالته الزمنية المعروفة دلالة أخرى رمزية، فهو يرمز تغير الحال أو الوضع أو الموقف من حال سيئ إلى حسن، باعتبار أن الصبح يدلّ على شروق النور والضياء بعد ليل مظلم طويل، وجاء في أمثال العرب قولهم: "عند الصباح يحمد القوم السرى"، والشاعر هنا يرى أن البعثة المحمدية صباح إرشاد جاء بعد ليل الجاهلية، ثم يبين سبب حدوث ذلك التحول، وهو جهر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، في قول الشاعر "بأمر الله لقد صدع"، وهو استدعاء لقوله تعالى: " **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**" (الحجر 94)، فالشاعر أخذ والمعنى مع تغيير طفيف في الصياغة، ظهر من خلال تحويل صبغة الأمر إلى صبغة الإخبار، ليتناسب مع

المنارة للاستشارات
www.man

سياق المديح الموجه لشخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أما في قوله: "والخلق لنجح الحق دعا"، فأراد به الدعوة الإسلامية التي جاء بها النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهي دعوة الحق والنجاح، استمدها الشاعر من الآية الكريمة: "**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**" (النحل 135)، **وقوله تعالى: "وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا"** (الأحزاب 46)، وفي المقطع الأخير من التخميس في قوله "فبسنّته الخلق قد اعتصموا" استعار الشاعر عبارة "اعتصموا"من الآية:"**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ"(آل عمران 103)، وجاء في تفسيرها عن ابن مردوية عن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إنَّ هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه"**[41].

فالشاعر امتص مضمون الآية وصرف دلالاتها إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) مع المحافظة على سياقها العام، لأن الاعتصام بالسنة هو ذاته الاعتصام بالقرآن الكريم، وطاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهي طاعة لله عزّ وجلّ، فالكثير من الآيات الكريمة تقرن بين الأمرين مثل قوله تعالى: "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ" (آل عمران 23)، "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (آل عمران 132)، و **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" (النساء 59).**

ومن نماذج التناص مع العبارات القرآنية أيضا، قول الشاعر[42]:

ومن يتوكّلْ في جميعِ أمورهِ على اللهِ يلقَه كفيلاً وكافيَا

فالبيت الشعري مستمد من قوله تعالى: " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ" (الطلاق 3)، وبالمقارنة بين النصين القرآني والشعري، نلاحظ حفاظ الشاعر على أسلوب بناء العبارة (أسلوب الشرط) مع إضافات لكل من جملة الشرط وجوابه، ويمكن توضيح التفاعل النصي بالشكل التالي:

النص القرآني:

اسم الشرط	جملة فعل الشرط	الرابط	جملة جواب الشرط
من	يتوكل على الله	الفاء	هو حسبه

المنارة للاستشارات
www.man

النص الشعري:

اسم الشرط	جملة فعل الشرط	الرابط	جملة جواب الشرط
من	يتوكل في جميع أموره على الله	لا يوجد	يلقه كفيلا وكافيا

بالمقارنة بين النصين القرآني والشعري نلاحظ أن الشاعر اعتمد آلية الشرح والتمطيط من خلال الإضافات التي ألحقها بجملة الشرط وجوابه، ولعل الداعي إلى ذلك هو متطلبات الوزن والقافية.

ج- التناص الإيقاعي:

يتميز القرآن الكريم بطاقته الفنية والإيقاعية، وهي طاقة متعددة الأنواع تؤدي وظيفة أساسية في البيان[43]، وتعدّ الفاصلة القرآنية أبرز صور التناسق الفني والإيقاع في النص القرآني، ويقصد بها: "تلك النهاية التي تذيّل الآيات القرآنية، وموقع الفاصلة يشبه موقع القافية في البيت الشعري"[44].

وذهب باحثون آخرون إلى أن الفاصلة القرآنية "أبعد دلالة وأوسع تأثيرا، فهي كالقافية في الشعر وقرينة السجع، غير أنها تزيد عليها بشحنة المعنى ووفرة النغم والسّعة في الحركة الحرة"[45].

إن الفاصلة القرآنية لها أبعاد دلالية ولفظية ونفسية تتضافر جميعها لتحقيق التأثير والإمتاع، "فالفواصل القرآنية لها الأثر الكبير في تحقيق الإيقاع الصوتي، لأن هذه الفواصل نغمات نفسية ومعنوية، وإيقاعا يعطي الإنسان روحا ويحس عندها بمتعة فنية مؤثرة، تثبت في الفؤاد الطمأنينة والارتياح"[46].

ولما كان لجمال القافية القرآنية وقوة إيقاعها أثر في نفوس الشعراء، عمدوا إلى الاستعانة بها وتوظيفها في أشعارهم، والثغري من الشعراء الذين استفادوا من الطاقة الفنية والإيقاعية للفاصلة القرآنية، ووظفها في شعره، مثل قوله في رثاء والد السلطان الزياتي موسى الثاني[47]:

يا نازحًا راموا اقترابَ محلّه فغدا على التقريب غيـر قريب
نادَ بنادي المجدِ صرخةَ نادبٍ أسفًا على المولى أبي يعقـوب

المنارة للاستشارات
www.man

أعظمْ به من زاهدٍ ومجاهدٍ ومنيل رفدٍ تـارةً ومنيـب
من كان جيشُ الموت يخدمُ سيفَه أودى بجيشٍ للمنونِ عصيب

قوافي الأبيات السابقة مأخوذة من فواصل آيات قرآنية من سورة "هود" في قوله تعالى: "**فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ**" (هود 64)، وقوله: "**وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**" (هود 71)، وقوله: " **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ**" (هود 75)، وقوله: **هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ**" (هود 77) ، حيث استفاد الشاعر كثيرا من الطاقة الإيقاعية لفواصل الآيات القرآنية في تشكيل قوافي قصيدته، وهذا يدل على تأثره بالقرآن الكريم، فجاء شعره متمثلا لكثير من المعاني القرآنية ومنسجما في قوافيه مع فواصل آيات من سورة هود (عليه السلام)، ومتناسبا مع طبيعة الموضوع، حيث أنَّ الآيات التي تأثر بها الشاعر تحمل معاني التحذير والتهديد من الغفلة، وتدعو إلى التوبة والإنابة إلى الله عز وجل، وكذلك أبيات الشاعر التي جاءت في غرض الرثاء تدعو إلى التفكير في الموت والاستعداد لهذا المصير عن طريق التوبة والإنابة والرجوع إلى الله عز وجل.

ويقول الثغري في مولدية له[48]:

فاخلعْ لبُوسُك من سوى ثوب التُّقى ما للنفوسِ حلاً سوى تقواهـا
من لي بنفسٍ تـدَّعي طلبَ العلا قولا فيثيبُ فعلَـــها دعواها
طافَ الأنامُ بكـعـــبةِ الله الـتي لم يجعلِ البيتَ الحرامَ سواها
وافي مـــن الذِّكر الحكيمِ بآيةٍ تلَّتْ جبينَ الشِّرك حـين تلاها
وإلى جميع الخـلقِ بلَّغَ حـكـمَها وعلى منصَّةِ الإشـهارِ جَـلاها

فقوافي هذه الأبيات تذكرنا بسورة الشمس وإيقاع آياتها، كما في قوله تعالى: "**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا، وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**" (الشمس من 01 إلى 08)، فقد وظف الشاعر حرف الهاء الموصول بحرف المدّ الألف كقافية شعرية بكل شحنتها الصوتية وما تثيره في نفس المتلقي من أثر قرآني يحيله على آياته البينات .

المنارة للاستشارات
www.mar

ويقول في القصيدة ذاتها يمدك السلطان الزياني أبا زيان محمد[49]:

فكـفَّ أكُفَّ الجورِ عنهم بعدلهِ   فلا روعةً تعروُ ولا عروةً تعرى
كانَ بحـراً في العـلومِ فإنَّ فـي   بنانِ يديهِ للنَّـدى أبـحرا عشَرا
له بـكـتابِ اللهِ أعنى عـنايـةٍ   وبالسُّنةِ الغرَّا هــو المغرمُ المُغرى

قوافي هذه الأبيات تذكرنا بفواصل قرآنية من سورة "طه"، مثل قوله تعالى: "**كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا، مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا**" (طه 99-100)، وقوله: "**يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا**" (طه 103)، وقوله: "**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ**" (طه 118).

إذا قارنا قوافي الشاعر بالفواصل القرآنية نلاحظ مدى تأثره بها، فيأخذ أحيانا كلمتها بصورة كاملة، مثل قوله: (الوزر، عشرا ، وتعْرى)، وبذلك تأثر "الثغري" بالفاصلة القرآنية لما لها من أثر جليّ في تحسين الكلام ، واستثمر الخصائص النغمية لها في تجويد قوافيه وتقوية إيقاعه، من ذلك قوله في مدح أبي حمو[50]:

والخيلُ كالسَّيلِ تحتَ الليلِ ترجعُهُ   فرسانُها ودجى الهيجاء تحتكرُ
والبيضُ والسمــرُ في الصفيّن باديةٌ   عِلمُ البديع فمنظومٌ ومنتـثـرُ

إلى قوله[51]:

سلْ عنه وهرانَ هل أجزى تحصُّنُها   منهُ وهل أغْنَتِ الأسوارُ والـجدُرُ
كلاَّ لقــدْ حلَّ إذْ حلَّ ساحـتَها   من بعدِ ما جاءَها من عندِه القَدَرُ
يا غاصين استحــقَّ الدارَ صاحبُها   إنْ شاءَ عاقبــكم وإنْ شاءَ يغتفـرُ

والظاهر أن شاعرنا تنساب على لسانه الفواصل القرآنية بشكل عفوي، بحكم تشبعه بالألفاظ والتراكيب القرآنية، يقول في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم)[52]:

وأصدقُ من في عالمِ الكونِ لهجةً   وأكرمُهم فعلاً وأشرفُهم ذِكرا

المنارة للاستشارات
www.man

وأطهرُهم قلبًا وأكملهم تقًي | وأشرحُهم صدرا وأرفعــهم قــدْرا
أزينَ الحلى وقفٌ على محبَّتي | إذا رمتُ صبرا عنك لم أستطعْ صَبْرا
يمثّلُ لي مرآكَ في كلِّ لحظةٍ | ويخطرُ لي ذكراكَ ما جرتِ الذِّكرى

فبعض قوافي الشعر هي فواصل آيات من القرآن الكريم في قوله تعالى: "**قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْ ءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ، فَانْطَلَقَا حَتَّى إذا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا، قالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**" (الكهف 70- 72)

نلاحظ أن الفواصل القرآنية السابقة (ذكرا - إمرا - صبرا) تشتمل على طاقة إيقاعية وتنغيمية لها أثرها الجميل في النفس، ما دعا الشاعر إلى الاستفادة منها واستعارتها كقواف في شعره.

والملاحظ أن الشاعر لا يكتفي بالاستفادة من الفاصلة القرآنية فحسب، إنما ينتقي من الفواصل ما يتناسب والمعنى العام لقصيدته، ففي النماذج السابقة يمكن ملاحظة التناسب بين معاني الآيات القرآنية التي تدور حول التهديد والوعيد للكافرين وأهوال القيامة، ومن معاني الشاعر التي تتحدث عن شجاعة وقوة الممدوح و تهديده لأعدائه:

مثل قوله(53):

ملكٌ بهمَّتــــهِ العُليا وعـزمتــهِ | يُستجلبُ النَّفعَ أو يُستدفعُ الضَّررُ
عفٌّ الإزار مصيبُ الرَّأي متَّكلٌ | على الإله بما يأتي ومــا يذرُ
حامي الذّمار أبو حمو الذي فُتِحتْ | له البلادُ ودانَ البدو والحـضرُ

قوافي هذه الأبيات لها علاقة مع فواصل قرآنية في قوله تعالى: "**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**" (المدثر 26-30).

2- التناص: الإمتصاصي

الامتصاص هو مرحلة أعلى من المستوى السابق "وينطلق أساسا من الإقرار بأهمية النص السابق وقداسته، فيتعامل معه كحركة وتحول لا ينفيان الأصل بل يساهمان في استمراره كجوهر قابل

المنارة للاستشارات
www.man

للتجدد، ومعنى هذا أن الامتصاص لا يجمد النص الغائب ولا ينقده بل يعيد صوغه وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتب فيها"[54].

يقوم هذا النوع من التناص على إنتاج الشاعر لصور شعرية مستوحاة من نصوص سابقة اعتمادا على آليتي الإذابة والامتصاص، حيث ينطلق الشاعر من النص الغائب مكتفيا بذكر مؤشرات سريعة دالة عليه، ثم يخضع نصه لرؤيته الخاصة وتجربته الذاتية، ولذا يمثل هذا المستوى أعمق من مستويات التناص[55] ، وتجلى هذا المستوى عند الثغري في مضامين متعددة منها:

- التقوى:

التقوى في معناها العام تعني الصيانة والحذر والوقاية واجتناب ما هو مكروه أو ضار، وفي معناها الشرعي تعني: "التحرر من عقوبة الله تعالى وعذابه بطاعته وإتباع أوامره واجتناب نواهيه"[56]، وتقوم التقوى في جوهرها على استحضار القلب لعظمة الله تعالى واستشعار هيبته وجلاله وكبريائه، والخشية لمقامه والخوف من حسابه وعقابه[57].

ولا يتوقف معنى التقوى كما يفهم من معناها اللغوي وبعض استعمالاتها الشرعية على الحذر واجتناب المعاصي والرذائل وأداء الفرائض، بل تتضمن كذلك مراقبة النفس في كل حال مهما بدا صغيرا، فلا تنظر إلى صغر الذنب ولكن أنظر إلى من عصيت، وتشمل أيضا الحرص على إتباع الفضائل والأعمال الصالحة وحسن المعاملة، وقد جعل الله عز وجل التقوى من أعظم أسباب البركة في الأرزاق، ومن أهم أسباب تفريج الكربات وتكفير السيئات وزيادة الحسنات والخروج من المضائق والأزمات[58].

وفي هذا المعنى يقول الثغري[59]:

شرفُ النُّفــوسِ طلابُها لعـــلاها ... ولباسُها التقــوى أجلُّ تقاها
فيــها تـــنالُ العـــزَّ في الدُّنيا إذا ... دنتْ بها والفوزَ في أخــرها
فأخلع لبوسك من سوى الثوب التقي ... ما للنفوس حلًى سوى تقواها
أوصي بها نـفســي وما من أمــةٍ ... إلاَّ وخالقُـــها بها أوصَاها

المنارة للاستشارات
www.man

اتخذ الشاعر من النصوص القرآنية مادة أولية لتشكيل نصه الشعري عن طريق امتصاص مضامين الآيات وإعادة تشكيلها بما يوافق التعبير عن ذاتيته، ورغم أن الشاعر لم يعمد إلى الاقتباس المباشر لألفاظ وتراكيب الآيات، فإنه حافظ على السياق العام للنص القرآني ووظفه لترسيخ المعنى وتعضيد دلالة النص الشعري محافظا على سلطة النص القرآني، فنرى في البيت الأول تعامله بوعي سكوني مع قوله تعالى: "**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**" (الأعراف 36)، أما قول الشاعر: "فيها تنال العزّ في الدنيا ...." فيحيل القارئ إلى عديد الآيات التي تبيّن أثر التقوى على الإنسان في الدنيا والآخرة، مثل قوله تعالى: "**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**" **(الحجرات 13)، وقوله: "وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**" (النور 52)، وقوله: "**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**" **(المنافقون 08)، فالتقوى عند شاعرنا منهج حياة شامل يعايشه المرء في الدنيا والآخرة ويجني ثمراته في الدارين**

فالشاعر يبدي رؤية عميقة لمفهوم التقوى ومتطلباتها وآثارها، وهذه الرؤية عدّها وصيّةً نظرا لأهميتها في قوله: "أوصي بها نفسي ..."، فالبيت الأخير يتناص مع قوله تعالى: "لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ" (النساء 131).

- الذنب والتوبة:

الإنسان معرض في حياته لارتكاب الأخطاء واقتراف الآثام، فإذا كانت هذه الأخطاء عن قصد وإصرار يترتب عليها ذنب، وإذا كانت عن غير قصد لا يترتب عنها إثم، والسبيل الوحيد للخلاص من الذنوب والآثام هو التوبة النصوح والرجوع إلى الله عز وجل الذي قال: "**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**" (آل عمران، 135)، فالتوبة والاستغفار هما المسار الصحيح للخلاص من الذنوب والآثام.

وموضوع الذنب وما يعقبه من توبة واستغفار من الموضوعات التي طوقها الثغري يشكل مستمر في أمداحه النبوية، وكثرة تناول هذا الموضوع لا يدل بالضرورة على أن الشاعر كثير الذنوب، بل يكشف عن قوة الإيمان، وصحة العقيدة، لأن الاستغفار وتجديد التوبة ومراقبة النفس

المنارة للاستشارات
www.man

في كل حين هي صفة أهل التقوى والورع، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) على خلوِّه من الذنوب لا يترك الاستغفار.

يطالعنا الثغري بصور عديدة عن اللوم الذاتي والشكوى من الذنب، ورجاء العفو، وطلب المغفرة من الله، والتشفع بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، مثل قوله[60]:

ولكنَّني أبـكي لزلاَّتـي التـــي	تـــجاوزتُ فيها منتهى الحصْرِ والحدِّ
وإنِّي وإنْ كانتْ ذنوبي كثيرةً	وآثرتُ غيِّي إذ تعاميت عن رشدي
لأرجو شفيعَ المذنبين محمدا	يشفِّعهُ الـمـــولى فيشفــعُ في العبدِ

مارس الشاعر في البيتين الأولين نوعا من النقد الذاتي واللوم النفسي والتشديد على الذات، حيث عدد ذنوبه واعترف بتقصيره وبعده عن سبُل الرشاد، فكانت دموعه ترجمان لتلك الحال ودليل على الندم والخوف من الله، ولهذه المعاني مرجعية دينية، قام الشاعر بامتصاصها واستيعابها ثم إعادة إنتاجها في قالب شعري، فالبكاء ندما على الذنوب يدلُّ على خشية المولى عزز وجل، وذلك في قوله تعالى: "**وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**" (الإسراء 109)، وفي الحديث الشريف: "سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه ..."، وذكر من بينهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه[61]، والخشية من الله عز وجل ةخةف عقابه مطلب ديني أمر به الله عز وجل في قوله: "**وأيَّايَ فَارْهَبُونَ**" (البقرة، 40)، وقوله: "**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانَ**" (الرحمن، 46).

وبعد أن رسم الشاعر صورة قاتمة لمعاصيه وذنوبه، رسم في البيت الأخير صورة مضيئة مقابلة لها تمثلت في زوال تلك الآثام بفضل شفاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وجاءت عبارة الشاعر الأخيرة (يشفعه المولى فيشفع في العبد) لتعبر عن حالة من الانفراج والتنفيس والانشراح، والتخلص حالة الحزن والانقباض التي كان عليها عند ذكر ذنوبه وآثامه، فلذكر المولى عزَّ وجلَّ وتذكر رحمته، والتعلق بنبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم) الأثر الكبير في تحقيق الطمأنينة والارتياح النفسي، ومعلوم عند أهل التقى والورع ما لذكر الله والصلاة على نبيه من أثر في تفريج الكرب وكشف الهموم.

المنارة للاستشارات
www.man

- النفس وأحوالها:

للنفس معانٍ متعددة، فتطلق على الروح أو الذات، وقد شاع استعمال النفس في الحديث عن الإنسان خاصة، حيث يراد منها الجسم والروح، واختلف الفلاسفة والفقهاء والمتكلمون في تحديد مفهوم النفس، فهي عند بعض الفلاسفة المسلمين جوهر قائم بذاته غير متحيز، وذهب بعض المتكلمين إلى أن النفس جسم لطيف يسري في البدن سريان الماء في العود الأخضر[62]، ويذهب ابن القيم الجوزية إلى أنَّ النفس جسم علوي نوراني ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، والدهن في الزيتون، والنار في الفحم[63]، وينظر الصوفية إلى النفس نظرة مذمومة ويرونها العدو بل أعدى الأعداء التي تستوجب أن نجاهدها الجهاد الأكبر[64]، ويقترب أغلب شعراء المديح النبوي من مفهوم الصوفية للنفس، فيحذرون من غيّها ويدعون إلى ضبط جماحها، وللثغري في ديوانه إشارات إلى النفس وأحوالها وصفاتها وآثارها، مثل قوله[65]:

وما النَّفسُ إلاَّ من أعدائك فليكنْ ... عزيمك فيها ما يسوءُ الأعَاديا

فيا نفسُ كم تهوى الهوى وتطيعه ... ولم تنتهِ لـمَّا ارتكبتِ النَّواهيا

فالشاعر في هذين البيتين يحدد بعض خصائص النفس البشرية، بأسلوب شعري خيالي أساسه الاستعارة الشخصية، فالنفس عند كالعدو، يجدر بنا التعامل معها بحذر وانتباه تجنبا لما قد توقعنا فيه من مهالك، وهي شرهة تسعى دائما وراء الملذات وطلب الشهوات، دون أن ترتدع من تلقاء نفسها، تحتاج دائما إلى من يرعاها ويراقب سلوكها، وقد استمد الشاعر معاني أبياته من حديث القرآن الكريم عن النفس وصفاتها، فالقرآن الكريم حدّد ثلاث صفات للنفس البشرية هي[66]:

- النفس الأمارة بالسوء: من قوله تعالى على لسان امرأة العزيز: "**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**" (ويوسف، 53).

- النفس اللوامة: وردت في قوله تعالى:"**لا أُقْسِمُ بِيوْمِ الْقِيامةِ، ولا أُقْسِمُ بِالنّفْسِ اللّوّامةِ**"(القيامة،1-2).

المنارة للاستشارات
www.man

- النفس المطمئنة: وردت في قوله تعالى: "**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي**" (الفجر، 27-30).

وحديث الشاعر في البيتين موجه إلى النفس الأمارة بالسوء، وهو صادر عن النفس اللوامة.

ويواصل الشاعر لومه للنفس الأمارة وصفا شرها للهوى دون قيد أوحد في قوله(67):

ففي الرُّشدِ لا تزدادُ إلاَّ تماريا   وفي الغيِّ لا تزدادُ إلاَّ تماديا

حرص الشاعر على حسن بناء بيته الشعري اعتمادا على بعض المقومات البلاغية كالتقسيم والمقابلة، فجاء البيت متوازنا إيقاعيا ومتفاعلا من حيث الدلالة بين شطريه، كما استعان ببعض الألفاظ القرآنية مستحضرا قوله تعالى: "**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**" (البقرة 256)، ووزع لفظتي (الغيّ - الرُّشد) في بداية شطري البيت ما أعطى شعره طاقة دلالية إضافية ناتجة عن قوة إيحاء اللفظ القرآني، فالشاعر لم يقتبس النص القرآني مباشرة بل عمد إلى امتصاص وإعادة إنتاج دوال النص القرآني، وتوزيعها عبر مساحة نصه الشعري بما يخدم البنية الجديدة، ثم يعرض الشاعر إلى الحديث عن الآثار والنتائج المترتبة عن إطلاق النفس على هواها وعدم ضبطها ولجمها، يقول(68):

ولو ثـمَّر التوفيقُ أصبحت جانيا   لما كنتُ للآثامِ والذَّنبِ جانيَا

ولا كانَ قلـبي بالجرائمِ قاسيا   ولا كنتُ عن دارِ الأحبَّةِ قاصيا

وعبر عن تلك الآثار في صور محسوسة "جني الآثام والذنوب، قساوة القلب، البعد عن الأحبة" وهذه المعاني تتقاطع مع العديد من النصوص القرآنية، فالبيت الأول يحيل القارئ إلى قوله تعالى: "**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**" (الزلزلة 7، 8)، ولأن الجزاء من جنس العمل، فنتائج النفس الطيبة هو جني التوفيق والفلاح، والنفس السيئة تجني الذنوب والآثام.

والبيت الثاني مستوحى من الآية القرآنية: "**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ**" (البقرة، 74)، والآية الكريمة جاءت توبيخا لبني إسرائيل وتقريعا لهم على ما

المنارة للاستشارات
www.man

شاهدوه من آيات الله[69]، وعمد الشاعر إلى استيعاب مضمون الآيتين السابقتين وإسقاطهما على نفسه.

ويخلص إلى وصف حالته نتيجة لما سبق، فيقدم صورة كئيبة عن حالته النفسية وهي غارقة في بحار الآثام وثقل الذنوب، يقول[70]:

غريبٌ بغربٍ أوبقته ذنوبُه　　فأصبحَ في أسرِ البطالةِ عانيا
وما عاقني إلا ذنوبٌ كأنما　　تحملتُ منهن الجبالَ الرَّواسيا

يرى الشاعر أن ذنوبه أوبقته وأقعدته عن الحركة فبقي بتلمسان يكابد الغربة والشوق إلى زيارة البقاع المقدسة، فاستعار لفظة (أوبق) من قوله تعالى: "**وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (32) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (33) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ**" (الشورى، 32-34)، أي لو شاء لأهلك السفن وأغرقها بذنوب أهلها[71]، ويعبّر عن المعنى ذاته فيشبه ذنوبه بالجبال الراسية، الجاثمة على قلبه، فلا يستطيع دفعها وإزالتها، والمعنى يتقاطع مع قوله تعالى: "**وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا**" (النازعات، 32)، أي قررها وأثبتها في أماكنها[72]، فالشاعر أخذ دلالة الآية الكريمة من سياقها الدال على عظمة خلق الله عز وجل وأسقطها على حالته النفسيه.

- الاعتراف بالذنب وطلب العفو والمغفرة:

يقول الثغري[73].

مددتُ يدي يا ذا المعارجِ راجيًا　　وأصبحتْ آمالي إليكَ حواديًا
عسى جودُك الفيَّاضُ يدني وسائلي　　وينشي من العفوِ العميمِ الغواديا
ويفتحُ لي باباً إلى منهجِ التُّقى　　فألقى التّداني يوم ألقى التَّناديا
لدى موقفٍ يومَ الحسابِ وهولِه　　يسومُ الورى كربٌ يشيبُ النَّواصيا

يبدو جليا أن الشاعر لا يشتغل على النص الشعري عن طريق الاقتباس المباشر من النص القرآني، بل عن طريق الاستعانة بدوال تحيل على ذلك النص، فهو ينطلق من تلك الدوال عن

المنارة للاستشارات
www.man

طريق الامتصاص وإعادة البناء لتشكيل أبعاد جديدة خاضعة لرؤيته الذاتية، ما يجعل النص القرآني يلتحم بشكل منسجم مع نصه، فالأبيات السابقة خصوصا البيت الأخير تتزاحم فيه العديد من النصوص القرآنية، منها قوله تعالى: "**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**" (إبراهيم، 41)، وقوله: "**وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ**" (الصافات، 76)، وقوله: "**يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ**" (الرحمن، 41)، وقوله: "**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا**" (المزمل، 17)، وجلُّ هذه الآيات تحذر من أهوال يوم الحساب، وهو السياق ذاته الذي يرجو الشاعر النجاة منه، ويطلب العفو والمغفرة والرحمة من المولى عز وجل.

- تقديس الله تعالى وحمده والثناء عليه:

وهي لطيفة من اللطائف التي يعرفها أهل الورع والتقوى حيث أنهم قبل تقديم طلباتهم إلى الله (عزّ وجلَّ)، يعمدون إلى حمد الله والثناء عليه وتقديسه واستحضار عظمته وقدرته، وهي أسباب تساعد على الانطلاق في بث الشكوى والرجاء، وأجلُّ هذه اللطائف هي دعوة الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا لقوله تعالى: "**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**" (الأعراف، 180)، وفي هذا المعنى يقول الثغري[74]:

بأسمائكَ الحُسنى سألتكَ ضارعًا وبالمصطفى ألاَّ تردّ يدي صفرا

و قوله كذلك[75]:

والحمدُ لله حمدَ الشاكرين على فتحٍ تليه فتوحٌ جمَّةٌ نضرُ

عبارة "الحمد لله" افتتحت بها خمس سور قرآنية هي: "الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر"، وهي من أجل الكلام وأفضله، "وتعني الشكر لله خالصا دون سائر ما يُعبد دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بها غيره أحد"[76]، وفي الحديث الشريف عن رسول الله أنه قال: "أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله"[77].

المنارة للاستشارات
www.mar

تكشف الأبيات السابقة عن بعض الجوانب التي ساهمت في تشكيل الشخصية الأدبية للشاعر، والتي يمكن تصنيفها في جانبين:

الأول: ثقافي معرفي قائم على ثقافة الشاعر واطلاعه على الموروث الديني، كالقرآن والحديث النبوي والقصص الدينية، وهو أمر كان يشكل ثقافة عصر الشاعر.

الثاني: فني جمالي يتعلق بالقدرة على توظيف ذلك الموروث شعريا وفق رؤية إبداعية ذاتية.

والجانبان معا مهمان في عملية التحليل التناصي، إذ أن: "أساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي أيضا"(78).

الخلاصة:

أشير بداية إلى الثراء والتنوع الذي يميز التراث الجزائري القديم، وحاجته إلى جهود الباحثين من أجل إبرازه والتعريف به أولا، ودراسته وفق مناهج علمية ونقدية حديثه من شأنها إبراز القيمة العلمية والفنية الجمالية لهذا التراث ثانيا

وهذا البحث يأتي في ذلك السياق، حاولت فيه دراسة نصوص شعرية للثغري التلمساني دراسة تناصيه، أبرزت الأشكال التناصية التي برزت في شعر الثغري التلمساني، وآليات استفادته من النصوص القرآنية، وقد تبين لي أن التناص الاجتراري والامتصاصي، من أكثر الأنواع بروزا في شعره، حيث طفت الألفاظ والتراكيب القرآنية بشكل كبير على مساحة أعماله الشعرية، فيما قل التناص الحواري في شعره، ويمكن تعليل ذلك بطغيان العلوم الدينية على تكوينه الثقافي، وكذلك نظرة التقديس والاحترام للنص القرآني، كما كشفت الدراسة عن قدرة الشاعر على توظيف النص القرآني بشكل منسجم مع نصه الشعري، والاستفادة من الطاقة اللفظية والمعنوية للنص القرآني في تعضيد أفكاره ومعانيه، وإغناء تجربته الشعرية .

الهوامش:

[1] - محمد صالح الصّديق، البيان في علوم القرآن، المؤسسة الوطنية للكتّاب، الجزائر، 1989، ص 249.

المنارة للاستشارات
www.mar

[2]- محمد بن عمارة، الصرفية في الشعر المغربي المعاصر، المفهوم والتجليات، شركة النشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2001، ص 156.

[3]- هو محمد ين يوسف الثغري التلمساني، من أشهر شعراء تلمسان وأدبائها، عاش في القرن الثامن الهجري، وتوفي آواخر هذا القرن، أو بداية القرن التاسع الهجري، نشأ في بيئة مزدهرة ثقافيا في كنف حكام بني زيان الذين اعتنوا كثيرا بالعلم والعلماء، كان أغلب شعره، في مديح السلاطين الزيانيين، والمدائح النبوية، التي كان ينظمها بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي، له ديوان شعر، لم تورد المصادر إلا النزر اليسير عن حياته وبعض القصائد الشعرية، للمزيد من الاطلاع على حياته وشعره ينظر الكتب التي ارخت للدولة الزيانية منها :

- زهر البستان، لمؤلف مجهول، تحقيق وتقديم: بوزباني الدّراجي، مؤسسة بوزباني للنشر والتوزيع ـ الجزائرـ2013، ج2، ص63، وما بعدها.

- المقري، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان،1968م، ج7، ص.121

- التنسي، محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان, مقتطف من نظم الدور والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق : محمود آغا بوعياد, وزارة الثقافة ـالجزائرـ2001 م، ص 210 .

- يحي ين خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات ،ج2، ص40- 49.

ومن الكتب الحديثة:

- شوقي ضيف."تاريخ الادب العربي عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان) "دار المعارف القاهرة.مصر ط1، 1990م،

- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974م، ص347

- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيعن الجزائر، 1981م، ص244.

[4]- التناص: من أشهر المقاربات النصية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، على يد الكاتبة الفرنسية " جوليا كريستيفا"، وطوره كتّاب آخرون من أشهرهم "رولن بارت " و "جيرار جينيت" وغيرهما، و ينطلق التناص من حتمية التداخل النصي، فكل نص يتشكل بالضرورة من نصوص سابقة،ويُبنى على أنقاضها، وبالتالى فإن أي قراءة تناصية لنص ما يجب أن تقوم على استحضار النص الغائب والبحث في الأشكال والآليات التي تعلق بها النص الحاضر مع النص الغائب، ونجاح ذلك يعتمد عل ثقافة القارئ ودقة ملاحظاته.

أثار التناص اهتمام النقاد العرب المعارين، وبحثوا في جوانبه التنظرية والتطبيقية، ورأى الكثير منهم أنه مصطلح جديد لظاهرة قديمة، باعتبار أن النقد العربي القديم غني بمصطلحات التداخل النصي، كالاقتباس والتضمين والسرقة والمعارضات والنقائض وغيرها، رغم وجود فروقات بين هذه المصطلحات والتناص بمفهومه

المنارة للاستشارات
www.mar

الحديث، لعل أهمها هو الإختلاف في المنطلقات الفكرية والخلفية الثقافية التي ظهرت فيها مصطلحات السرقة، ومفهوم التناص الحديث

وحاول بعض النقاد العرب المعاصرين – خصوصا في المغرب العربي- تقديم مقاربة تقدية للتناص تبين أشكاله و وقوانينه وآلياته، فالناقد المغربي محمد بنيس يتحدث عن ثلاثة قوانين تحكم التناص وهي الاجترار الامتصاص والحوار.

[5] - محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار طوبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2014م، ص 269.

[6] - ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج1، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1999م، ص 321.

[7] - الراغب الأصفهاني، مفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيّد الكيلاني، ج1، البابي الحلبي، مصر، دت، ص 6.

[8] - محمد عبد المطلب، جدلية الإفراد والتركيب في الشعر العربي المعاصر، الشركة المصرية العامة للكتاب، لونجان، 1995م، ص 101.

[9] - الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف محمد حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مص، القاهرة، 1424هـ، 2003م ص 141.

[10] - الثغري التلمساني، أبو عبد الله محمد بن يوسف، الديوان، جمع وتحقيق، نوار بوحلاسة، منشورات مخبر الدراسات التراثية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2004م، ص: 57

[11] - نفسه،، ص: 43، 44.

[12] - نفسه، ص50.

[13] - ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر قيم الجوزية، شرح أسماء الله الحسنى، تح: محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديد، القاهرة،1453هـ 2014م، ص288.

[14] - تسليم طيبة، المديح النبوي عند شوقي وإقبال، رسالة دكتوراه، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، 2007م، ص 168.

[15] - الثغري، الديوان، ص 55.

[16] - نفسه، ص 162.

[17] - سليم طيبة، المديح النبوي عند شوقي وإقبال، ص 169.

[18] - الثغري التلمساني، الديوان، ص 77.

[19] - نفسه: ص170.

[20] - نفسه، ص:77.

[21] - نفسه، ص: 129.

[22] - نفسه، ص: 85.

المنارة للاستشارات
www.man

[23] - نفسه، ص 77.

[24] - نفسه، ص 55.

[25] - نفسه ص 129،

[26] - نفسه، ص 135.

[27] - الموسوعة الإسلامية، ص 577.

[28] - عبد القادر رابحي، صور التناص الديني في الخاطب الشعري الجزائري إلياذة الجزائر نموذجا، مقال، مجلة جامعة تلمسان، عدد 22-2015، ص 74.

[29] - أحمد هانم، التناص في شعر الرواد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2004، ص43.

[30] - الثغري، الديوان، ص 133.

[31] - نفسه، ص129.

[32] - ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفدا اسماعيل، مختصر تفسير ابن كثير، ج1، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ت، ص 232.

[33] - الثغري التلمساني، الديوان، ص 141.

[34] - نفسه، ص67، 68.

[35] - ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ج1، ص 617.

[36] - الثغري التلمساني، الديوان، ص، 125، 126.

[37] - نفسه، ص160، 161.

[38] - نفسه، ص76.

[39] - ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص 653.

[40] - الثغري، ديوانه، ص93.

[41] - ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ج1 ص 305.

[42] - الثغري، ديواته، ص172.

[43] - سيد قطب التصوير الفني في القرآن،، دار الشروق، بيروت، ط14، 1995، ص

[44] - بكري أمين، التعبير الفني في القرآن، دار العلم للملايين، لبنان، ط 6، ص 209.

[45] - جلال الدين السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن، د.ط، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1951، م2، ص 266.

[46] - عبد الفتاح لاشين ،الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، 1982م، ص 38.

[47] - الثغري، ديوانه، ص39، 40. 41، 43، 42، 44.

[48] - نفسه، ص160، 161، 162.

[49] - نفسه، ص 88 .

المنارة للاستشارات
www.man

[50] - نفسه، ص 64.

[51] - نفسه، ص، 64.

[52] - نفسه، ص 73، 74.

[53] - نفسه، ص62.

[54]- محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص 269.

[55] - ثناء نجاني عياش، التناص الديني في شعر طلائع بن رزيّك، مقال، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، م32، عدد2، 2005م، ص249.

[56] - الموسوعة الإسلامية، ص 412.

[57] - نفسه، ص 412.

[58] - نفسه، ص 413.

[59] - الثغري، ديوانه، ص 160.

[60] - نفسه، ص54، 55.

[61] - يحي بن شرف الدين النووي، صحيح رياض الصالحين، تح: مصطفى أبو المعاطي، دار الرشيد، الجزائر،ط1، 2007م، 183،182.

[62] - الموسوعة الإسلامية، ص 1410.

[63] - أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية، كتاب الروح،، ج1، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، المجد الول، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة، د.ت، د.ط، ص 521.

[64] - الموسوعة الإسلامية، ص 1410.

[65]- الثغري التلمساني، ديوانه، ص168.

[66] -كتاب الروح، ج1، ص 622.

[67] - الثغري التلمساني، الديوان، ص168.

[68] - نفسه، ص، 168.

[69] - ابن كثير، مختص تفسير ابن كثير، ج1، ص 79.

[70] - الثغري، ديوانه، ص169.

[71] - ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص 279.

[72] - نفسه، ج3،ص 594.

[73] - الثغري، ديوانه، ص 169.

[74] - نفسه، ص 76.

[75] - نفسه، ص64.

المنارة للاستشارات
www.mar

[76] - ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ج1، ص 20.

[77] - نفسه، ص 21.

[78] - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992م، ص 123.

تاريخ الارسال:2017-06-27

تاريخ القبول: 2018-05-09

تاريخ النشر: 2018-06-02

المنارة للاستشارات

www.man

المنارة للاستشارات
www.mar